مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:08 العدد: 04(2023) ص682-695

الحوار في المناظرات الفقهية - الحوار في مناظرة الإمام الشافعي للإمام محمد بن الحسن الشيباني دراسة لسانية تداولية لاستراتيجية التأثير والإقناع

Dialogue in jurisprudence debates - Dialogue in Imam Al-Shafi'i's debate with Imam Al-Shaibani: A pragmatic linguistic study of the strategy of influence and persuasion

د. ط. بشيري مسعودة *
جامعة د. يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية
bachiri.messaouda@univ-medea.dz

د. خريبش محمد
جامعة د. يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية
med2011kheribeche@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
30 ماي 2022
تاريخ القبول:
29 اوت 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المناظرة
- ✓ الحوار
- ✓ الحجج

الملخص:

سنتطرق في هذا البحث إلى مناظرة فقهية جمعت بين الإمام الشافعي والإمام محمد بن الحسن الشيباني -رحمهما الله- حول موضوع «الغصب»، وهي محاورة فكرية تم إثراؤها بمجموعة من الحجج والبراهين، وقد اخترنا الحوار باعتباره أسلوباً راقياً ومسلكاً حكيماً وبليغاً لا يمكن الاستغناء عنه، فهو وسيلة للنقاش والمراجعة والتعبير بين الناس، نظمه الإسلام ورتب محاوره واستخدمه في المناظرات التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، كما استخدمه الفقهاء والمتكلمون للدفاع عن الدين الإسلامي، بُغية الوصول إلى الحق والصواب.

Article info

Received
30 May 2022
Accepted
29Auguest 2022

Keywords:
- ✓ *Debate*
- ✓ *arguments*
- ✓ *dialogue*:

Abstract :

In this research, we will address a jurisprudential debate that brought together Imam Al-Shafi'i and Imam Muhammad bin Hassan Al-Shaibani - may God have mercy on them both - on the subject of "rape", which is an intellectual dialogue that has been enriched with a set of arguments and proofs. It is a means of discussion, revision and expression among people, organized by Islam, arranging its interlocutors, and using it in debates that are frequently mentioned in the Holy Qur'an. It was also used by jurists and theologians to defend the Islamic religion, in order to arrive at the truth and the guidance

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

الاختلاف سنة فطرية وإرادة كونية جبل عليها البشر منذ القدم، ولهذا سعى الإنسان للبحث عن طريقة يستطيع من خلالها التوفيق بين الرؤى وتقريب وجهات النظر ومحاولة إقناع الآخر برأيه الذي يعتبره صحيحا باستخدام ما يملكه من الحجج والشواهد لأجل الوصول إلى الحق. وكان لابد من إنتاج أسلوب بليغ متكامل يضمن ذلك، وهذا ما شجع على وجود الحوار، إذ «لا يوجد حوار إلا حيث يوجد الاختلاف» (طه، 2000، صفحة 65) ذلك أن الاختلاف وارد بين الناس لأنه أمر طبيعي خاصة إذا تعلق بأمور الدين وشؤون العقيدة، ولقد جاء الإسلام بجملة من الأسس والآداب التي تضمن التحاور بين الناس دون مشاكل، فاستخدم أسلوب المحاورات والمناظرات التي تعد من أهم الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في حوارات الخالق ومخلوقاته وحوارات الرسل والملائكة، والرسل وأقوامهم. وهذا ما يستشف من مادة «القول» وما اشتق منها، كقال، يقول، قالوا... الدلالة على التحاور والجدال والمراجعة والمناقشة بين الناس، وقد تكررت في القرآن أكثر من سبعمائة وألف 1700 موضع (طه، 2000، صفحة 21) «ولقد صبغ القرآن المناظرة بصبغة شرعية، وهذّبها النقائص التي تعتريها حيث أنّ القرآن اعتمد المناظرة مع جميع الطوائف» (أبو دينه، 2018، صفحة 48).

وعلاقة الحوار والمناظرة واضحة جلية من خلال الإقرار بجدلية المناظرة التي تفضي إلى حواريتها «المناظرة ممارسة حوارية الغرض منها الإشراك في الوصول إلى الحق» (طه، 2000، صفحة 27) وهذا ما يفسر أن «الممارسة الحوارية تعتبر أهم الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، فقد طبع المنهج الحواري سائر الممارسات في التجربة الإسلامية ضمن المنظور الحضاري الإسلامي الذي يحدد علاقة الأنا بالآخر» (دقاشي، 2014، صفحة 58).

«وتعود نشأة المناظرة في الثقافة الإسلامية إلى العهد العباسي، وكان الغاية منها ما كان يحصل من تدافع بين الفرق الإسلامية بسبب ظهور علم الكلام ومذاهبه، فنشبت الخلافات الفقهية والأصولية في فهم النصوص التشريعية واستنباط الاحكام الشرعية، ووقع جدال بين الفقهاء وعلماء أصول الفقه الاسلامي» (دقاشي، 2014، صفحة 56)، ولقد عني علماء الإسلام بالجدل والمناظرة عنايةً شديدةً من يوم أن نشب الخلاف الفكري بين العلماء ورجال الفكر في هذه الأمّة وانتهت عنايتهم بوضع قواعد لتنظيم الجدل والمناظرة (دقاشي، 2014، صفحة 57)، وهذا ما يؤكد أن الدعوة الإسلامية قامت على مسلمة الحوار والاختلاف (دقاشي، 2014، صفحة 58).

وهذا ما يجعل بحثنا ينطلق من إشكالية رئيسيّة هي:

ما الآليات الحجاجية الموظفة في المحاورة الفقهية التي جمعت بين الإمامين الشافعي والشيباني رحمهما الله؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الجزئية منها:

- ما تعريف الحوار وما مفهوم المناظرة؟
- هل هناك علاقة بينهما؟ وفيمَ تتمثل أبرز آدابهما؟
- ما مدى اعتماد الفقهاء على الآليات الحجاجية كوسيلة لإقناع الطرف الآخر في المناظرة؟
- هل تعدّ المناظرة ميدانا مناسبا لتوظيف المناظر لكم هائل من الحجج والآليات الإقناعية؟

2.مفهوم الحوار

1.2. لغة: جاء في معجم لسان العرب مادة (ح و ر) ما يلي: «الحور وهو الرجوع عن الشيء، ويقال: هم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعه المنطق والكلام في المخاطبة، والمحاورة والحوار: المراد في الكلام، ومنه التحاور». (ابن منظور، الصفحات 218-219، ج4).

من خلال التعريف اللغوي للحوار نلحظ أنه يشير إلى الكلام ويهتمّ بتداوله، فالحوار هو تخاطب بين شخصين يقتضي المراجعة في الكلام ولكن بطريقة مؤدبة وبألفاظ لبقة.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.2. اصطلاحا:

«وهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقه متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والغضب وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه» (زمزمي، 1994، صفحة 22).

وورد مفهومه بالتعريف التالي: «يعتبر الحوار ... في حد ذاته مجالا لإبداء الآراء بامتياز وهو بذلك متنفس يجد فيه المتحاورون إمكانية لقول ما يمكنهم قوله بشأن القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية، وإذا كان الحوار مجالا للرأي فإن المستهدفين بالرأي ليس المتحاورون فحسب بل المتتبعون أيضا ولذلك اهتم الحوار بثلاث قضايا أساسية، موضوع الحوار من جهة وشخصياتهم من جهة ثانية وأهدافهم من جهة ثالثة» (نظيف، 2010، صفحة 63).

فالحوار يعني تبادل المعلومات والأفكار والآراء والتعرف على وجهات نظر الآخرين وتأمّلها وتصويبها من أجل المجابهة والإفحام، وهذا من باب المناظرة ومحاولة الظهور على الخصم وتعجيزه عن الرد، وله آداب تنظمه منها التزام الهدوء والبعد عن الغضب، وهو فضاء للتعبير الحر من محاورة الموضوع والمتحاورون والأهداف.

3.مفهوم المناظرة:

1.3. لغة: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور مادة «نظر»: «النظر: حس العين نظره ينظره نظراً ومنظرا ومنظرة ونظر إليه. والمنظر: مصدر نظر، الليث: العرب تقول نظر ينظر نظراً... وإذا قلت: نظرت إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب» (ابن منظور، الصفحات 215-217).

من خلال التعريف اللغوي للمناظرة نفهم أيضا أنّها رؤية من جانبين، وتعني النظر من طرفين أو أكثر والنظير هو المثل في كل شيء فهو صورة طبق الأصل.

2.3. اصطلاحا: يراد بها: "المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره". (حبنكة الميداني، 1993، صفحة 371).

فالمناظرة تدل على العلاقة الوطيدة بينها وبين الحوار لوجود علاقة جدال بينهما كونها تبحث في المسائل الخلافية بين طرفين أو أكثر، وهي تسعى إلى الحقيقة وتعتمد الحجة والبرهان.

«فالحوار يعنى بمراجعة الكلام وتداوله» (زمزمي، 1994، صفحة 22) «والمناظرة تدعو إلى البحث والنظر في صحة المسائل الخلافية كونها تعد محاورة جدلية عنادية تفاعلية بين أطراف عدة» (زحاف، 2019، صفحة 86).

وتستوجب المناظرة وجود طرفين فأكثر مما يجعلها ممارسة حوارية تفاعلية بين متخاصمين كحد أدنى يتشاركان في صناعة المعرفة، وهي تعد بهذا محاورة فكرية بين طرفين متخاصمين تعالج موضوعا محددا، يقوم أحد الطرفين بطرح الإشكالية، ويسعى الخصم لإبطالها، ويكون ذلك بالحجة والبرهان، ويعد «علم الكلام» التحقق الفعلي للمناظرة بوصفه فعالية حجاجية لغوية في مسائل دينية، وهذا العلم المستحدث يهدف إلى المنافحة عن عقيدة التوحيد، عقيدة أهل السنة لفهم سلف الأمة الواحدة (الفرق الإسلامية) أو بين الملل الاخرى» (العمري، 2012، صفحة 29)، فقد أدت آليات النظر والحوار في علم الكلام إلى إنشاء أسس وآداب البحث والمناظرة ولذلك سمى "طه عبد الرحمن" علم الكلام «بعلم المناظرة العقدية» (طه، 2000، صفحة 70).

والمناظرة التي تم اختيارها- بغية دراستها- جمعت بين فارس المناظرات الإمام الشافعي (المراغي، 1947، الصفحات 127-132)[1] -رحمه الله- من جهة والإمام محمد بن الحسن الشيباني (المراغي، 1947، الصفحات 110-111)[2] -رحمه الله- من جهة ثانية، «وكان ذلك بالعراق أين بقي الإمام

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الشافعي بالعراق أعواما قليلة ملازما لحلقة محمد بن الحسن الشيباني التي كانت تتّسِم بالهجوم على آراء أستاذه الإمام مالك -رحمه الله-، ولفرط أدبه وحيائه لم يكن يستطيع أن يناقش "محمد بن الحسن" في آرائه المخالفة " لمالك" وكان ينتهز فرصة انصراف "محمد بن الحسن" ثم يبدأ في مناظرة تلاميذه، فيما خالف فيه "محمد بن الحسن" مالكاً منتصرا لأستاذه الإمام حتى أطلق عليه في العراق اسم "ناصر السنة" (الزغبي، 2011، صفحة 185).

وقد أصرّ "محمد بن الحسن" على مناظرة الإمام الشافعي، فقبل بذلك حتى بعد امتناعه خجلا من "محمد بن الحسن" الذي أعجب به أيّما اعجاب. هذا وقد عكست هذه المناظرة مدى حرية الرأي والتفكير لدى هؤلاء العلماء» (الزغبي، 2011، صفحة 185) وهي مناظرة تضمنت حوارا فكريا حول موضوع "الغصب"، والذي حدّه: كل من غصب شيئا وجب ردُّه إلا في ستِّ صور: مسالة الخيط واللّوح والخلط، حيث لا تميّز، والخمر غير المحترمة، والعصير إذا تخمّر في يده، والسادسة: حربيٌّ غصب مال حربي: قال: «ولا يملك بالغصب إلا في هذه الصورة إذْ لا احترام هنا مؤنة الردّ واجبة على الغاصب بلا خلاف، إلا في صورة واحدة وهي الخمر المحترمة، فالواجب فيها التخليّة عند المحققين» (السيوطي ، 1983، صفحة 468).

4.مراتب الحوارية:

يمثل الحوار في المناظرة الفقهية أحد أشكال الخطاب خاصة في صورته المباشرة الذي يتجسد بواسطة البنية القولية: (قال، يقول) ذلك أن للحوارية مراتبها عند المتكلمين ذلك ما رآه طه عبد الرحمن في بحثه التداولي الذي تكلم فيه عن الخطاب الحواري، حيث قسمها إلى ثلاث أقسام: الحوار، المحاورة، التحاور، وأدرج المناظرة في باب المحاورة (طه، 2000، الصفحات 38-57)، وتغلب على المناظرات العربية الحوار المباشر وعلى الاخص في المناظرات الفقهية، وهو رتبة من مراتب الحوارية، وقد سجل حضوره في المدونة التي كانت في صورة حوار مباشر دار بين الإمام الشافعي رحمه الله وبين محمد بن الحسن، ونورد منها ما يلي:

قال محمد بن الحسن للشافعي: بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب.

قال الشافعي: أصلحك الله إنّما هو شيء أتكلم به في المناظرة، وإني أجلّك عن المناظرة.

قال محمد: ما تقول في رجل غصب ساحة وبنى عليها بناء وأنفق عليه ألف دينار، فجاء صاحب الساحة وأقام شاهدين على أنها ملكه؟

قال الشافعي: أقول لصاحب الساحة ترضى أن تأخذ قيمتها؟ فإن رضي وإلا قلعت البناء ودفعت إليه ساحته. (الزغبي، 2011، صفحة 185).

«إنّ هذا الحوار يعدّ بعدا من أبعاد اللغة التواصلية، وركيزة الخطاب الأولى إذ يقترن هذا الأخير بعنصرين (أ، ب) إذ لا يمكن أن نبلغ أو نقنع شخصا ما دون وجود الآخر، ولا يكون الآخر فقط مستقبلا أو سامعا محايدا بل يكون فاعلا أي: سائلاً ومجيباً في الآن نفسه» (عشير، 2006، صفحة 20).

وهذا ما نجده في الجزء الأول من المناظرة التي دارت بين الإمام محمد بن الحسن سائلاً، والإمام الشافعي مجيباً، ليتم تبادل الأدوار بعدها ويتحول الإمام الشافعي إلى سائل والإمام محمد بن الحسن إلى مجيب.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

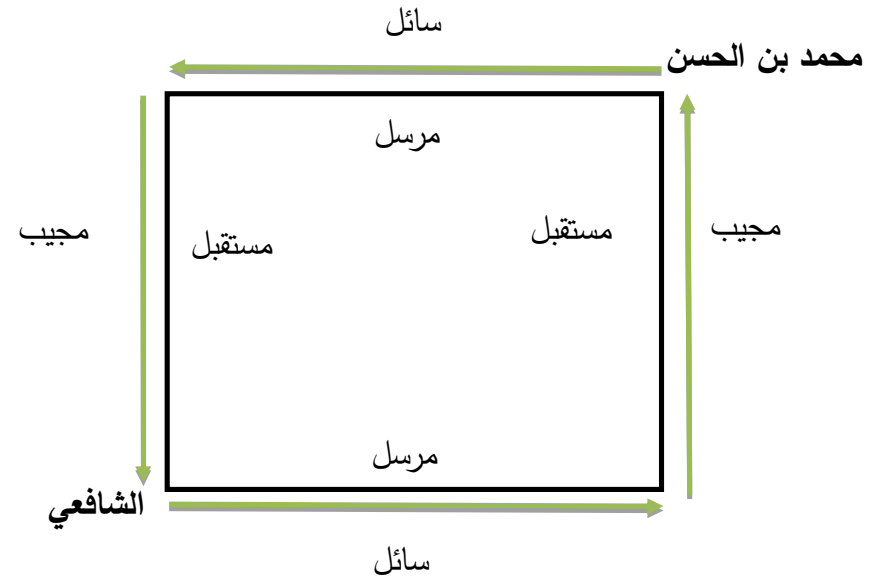

وإذا كان الحوار أهم أشكال التفاعل اللّفظي، فإنّ الحوار في المناظرات داخل التراث العربي الإسلامي قد اتّسم بطابعه المباشر، وقد هيمن هذا الطابع بشكل ملاحظ حتى أن المناظرات التي اتخذ فيها الحوار شكلا غير مباشر كانت قليلة (عادل، 2013، صفحة 183).

«ولهذا جعل طه عبد الرحمن الحوار في هذه المرتبة الخطابية المسماة بالعرضية، وبمقتضاها ينفرد العارض ببناء معرفة نظرية يعتقد أنها ملزمة للطرف الثاني المعروض عليه، يتظاهر فيها العارض بإشراك غيره في طلب المعرفة وإنشائها وتفريعها، وهو في واقع الحال أخذ بزمام توجيه المعروض عليه، وقد عبر كل منهما المتناظران عن نفسهما بالفعل الدال على المتكلم» (طه، 2000، صفحة 99).

ولأنّ المواجهة في المناظرة كانت مباشرة وكونها نقاشا قائما على السؤال والجواب، فقد استخدم الإمام "محمد بن الحسن" في بدايتها الفعل "بلغنا" المضاف إليه ضمير المتكلم "نا" وذلك إشارة إلى ذاته، وقد أراد بذلك تعظيم نفسه وتكبير مقامه، أو أنه يرى نفسه أعلى شأنا ومقاما من خصمه، فوظف الضمير "نا" المتصل للدلالة على ذلك، في حين كان يخاطب خصمه بالضمير المخاطب المفرد "أنت" ومثال ذلك:

قال محمد بن الحسن: بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب وأضاف سائلا الإمام الشافعي: فما تقول في رجل غصب لوحا من خشب فأدخله في سفينته ووصلت السفينة إلى لجة البحر، فأتى صاحب اللوح بشاهدين عدلين.

أكنت تنزع اللوح من السفينة؟ (الزغبي، 2011، الصفحات 185-186).

وجدير بالذكر أن الإمام الشافعي كان من بداية المناظرة إلى نهايتها يستخدم ضمير المتكلم المفرد "أنا" المستتر ويخاطب خصمه بالضمير المفرد المخاطب "أنت" ومثال ذلك:

قال الشافعي: أرأيت لو كان اللوح نفسه لوح صاحب السفينة وأراد أن ينزع ذلك اللوح من السفينة حالة كونها في لجة البحر، أمباح له ذلك أم يحرم عليه؟ وأضاف قوله: رحمك الله، كيف تقيس مباحا على محرم؟ (الزغبي، 2011، صفحة 186).

1.4. مرتبة المحاورة والنظرية الاعتراضية الحوارية:

«لا كلام مفيد إلا بين اثنين لكل منهما مقام هما: مقام متكلم ومقام مستمع ولكل مقام وظيفتان هما: وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد بحيث إذا كان المتكلم معتقداً كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع معتقداً كان المتكلم منتقدا» (طه، 2000، صفحة 99) وإذا أسقطنا هذا الأمر على المناظرة، وجدنا ذلك متوفرا.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

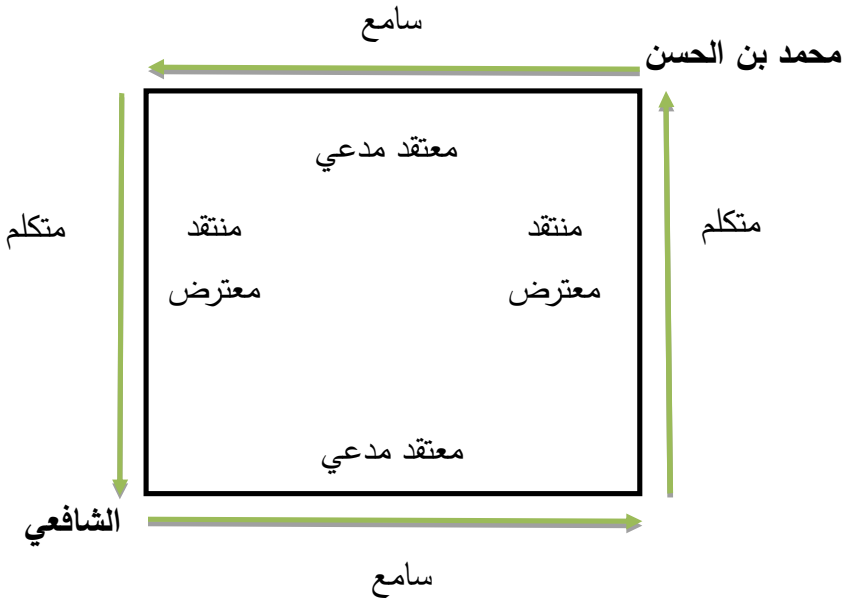

ومما يميّز هذه المرحلة وجود استراتيجية الإقناع، ذلك أنه من ميزات المناظرة وما تحمله كأداة للحوارية وما تتميز به من قوة اقناعية، ومنهج أدبي يتوافق مع منهج العلماء في دفع الزلل والخطأ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كان مآل المناظرة انتصار الإمام الشافعي، وهذا ما تفسره العبارة التالية: فسكت محمد بن الحسن ومال بعض تلاميذه في الحلقة إلى رأي الشافعي (الزغبي، 2011، صفحة 187).

2.4.مرتبة التحاور والنظرية الاعتراضية للحوار:

ونقصد بها الاعتماد على السؤال والجواب في المناظرة ووجود الحوار من بدايتها إلى نهايتها وهذا لا يتأتى إلا بوجود أطراف المناظرة التي كانت في مدونتنا متجسدة من خلال شخصين اثنين تواجها بشكل مباشر وهما الإمام محمد بن الحسن الشيباني والإمام الشافعي -رحمهما الله-، ولهذا فالسؤال قوام المناظرة وأحد أركانها عموما والمناظرة الفقهية على الأخص، وأول ما يستهل به من طرف أحد المتناظرين أو من طرف آخر يكون حاضراً «فالتخاطب الطبيعي يبتدأ بسؤال يطرحه السائل يستفسر عن مسألة ويستوضح أمرا» (دقاشي، 2014، صفحة 69) وهذا ما ندعوه بالسؤال الافتتاح.

ولهذا نجد مدونتنا قد تأسّست على السؤال الذي كان في طوره الأول على لسان محمد بن الحسن والذي مفاده: «بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب» (الزغبي، 2011، صفحة 186)، وعادة ما تستخدم هذه الصيغة لعلو مقام صاحبها وتصغيرا لمخاطبه، كأن يكون أعلى منه مقاما أو سنّا أو يتجاوزه حسبا أو نسبا ومالا، وقصده بهذا السؤال الإعلان عن بدء المناظرة وتهيئة النفوس واستدراج المناظر للمعركة الكلامية خاصة وأنّ الشافعي امتنع عن مناظرته لحيائه، إلا أن الإمام محمد بن الحسن أنكر عليه ذلك وشد انتباه الجمهور الذي استعد لحضور المناظرة، والأكيد أنّ محمدا بن الحسن قد وصله ما كان يفعله الشافعي من الدفاع عن آراء أستاذه في غيابه، كما أنه كان معتزا بنفسه، ونظر لمكانته بين العراقيين الذين أخبروا عنه: «إن محمداً نبغ نبوغا عظيماً في الفقه وكان مرجع أهل الرأي في العراق وعنه أخذ كثير من فقهائهم، فلقد لقيه الشافعي وكانت بينهما مجالس ومسائل رواها الشافعي نفسه وأثنى عليها حيث قال: ما رأيت أحدا يسأل عن مسألة في ما نظر إلّا تبيّنت الكراهة في وجهه إلّا محمد بن الحسن» (المراغي، 1947، صفحة 149) وهذا ما يفسّر عدم اجابته إلى المناظرة في البداية لإجلاله وتقديره له وهذا من باب الاحترام لا الخوف، وقد عبّر عنه بأسلوب متأدب وذلك حين قال:

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«أصلحك الله إنّما هو شيء أتكلم به في المناظرة وإني أجلّك عن المناظرة» (الزغبي، 2011، صفحة 186)، وذلك أن من آداب المناظرة أن يتبادل المتحاوران الاحترام، خاصة وأنه كان يراه أستاذا بالرغم من اختلاف وجهات النظر بينه وبين أستاذه مالكاً.

أمّا السؤال في طور الختام، فيكون الهدف من طرحه انتهاء المناظرة وانغلاقها على صيغة سؤال يطرحه أحد المتناظرين فيفحم الآخر ليمتنع تماماً عن الجدال مُعلنا ختام المناظرة، وإذا كان سؤال الافتتاح في هذه المناظرة من قبل محمد بن الحسن فلقد كان سؤال الختام المفحم من قبل الإمام الشافعي فقال: «أنشدك الله - أيُّ هذين أعظم ضررا؟ أن تقلع البناء وترد الساحة لمالكها، أم تحكم برق هؤلاء الأولاد» (الزغبي، 2011، صفحة 187)، «فسكت محمد بن الحسن ومال بعض تلاميذه في الحلقة إلى رأي الشافعي» (الزغبي، 2011، صفحة 187).

5.المقاطع الحوارية للمناظرة:

1.5.المقطع الحواري الأول: بدأ بطرح محمد بن الحسن سؤالا عن الإمام الشافعي مفاده: «بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب» (الزغبي، 2011، صفحة 185) وكأنّه أراد بذلك العزف على نقطة تقدير الشافعي له وحيائه منه كنوع من محاولة إضعاف خصمه بأسلوب متأدب غير مباشر محاولا قراءة شخصيته وتحديد ما يضمره له، خاصة وأنه كان يعلم أنه منتصر لأستاذه مالكاً، الذي كان الإمام محمد بن الحسن يخالفه في الكثير من الأمور، وكذا شَدَّ انتباه من كانوا بالمجلس الذين كان معظمهم من تلاميذه إعلانا عن بداية المناظرة التي رأى أنه من سيكون فائزا فيها، ورغم محاولة الشافعي التنصل بقوله: «أصلحك الله - إنّما هو شيء أتكلم به في المناظرة، وإني أجلّك عن المناظرة» (الزغبي، 2011، صفحة 185) إلا أنّ إصرار الإمام محمد بن الحسن حاله دون ذلك وهذا ما جعله يجد نفسه بداخلها.

2.5. المقطع الحواري الثاني: بادر الإمام محمد بن الحسن من مقام المتكلم بطرح أسئلته التي تتفرع إلى ثلاثة قضايا، أولها: كان إيجاد حل لرجل غصب ساحة وبنى عليها بناء أنفق عليه ألف دينار، فجاء صاحب الساحة بشاهدين عدلين، فرد الشافعي بأن يقترح على صاحب الساحة أن يقدر قيمتها وإلا يهدم البناء ويعيد إليه أرضه.

القضية الثانية: إيجاد حل لرجل غصب لوحا من خشب فأدخله في سفينته التي وصلت إلى عرض البحر فأتى صاحب اللوح بشاهدين عدلين، فهل ينزع اللوحة من سفينته وهو في عرض البحر ليعيده إلى صاحبه؟

القضية الثالثة: سأل محمد بن الحسن عن مصير رجل غصب خيطاً فجرحوا بطنه وخاطوا بذلك الخيط جرحه فأتى صاحب الخيط بشاهدين عدلين، فهل ينزع الخيط من بطن الرجل؟ امتنع الشافعي عن الرد، وأنكر أن يقاس ما هو مباح على ما هو محرم.

3.5. المقطع الحواري الثالث:

في هذا المقطع أخذ الشافعي موقعه من المناظرة، ووضّح تفاسير إجابته مستخدما طريقه ذكية، مبتكرة، مقنعه ومنطقيه ورد على القضية الثانية بأن يطلب من صاحب السفينة الرسو عند أقرب ساحل لينتزع اللوح المغصوب ويعيده إلى صاحبه، ولكي يستدل على فكرته المتعلقة بعدم قياس المباح على الحرام طرح قضية، وطلب الحل من الإمام محمد بن الحسن في مسألة رجل من الأشراف غصب جاريه لرجل من الزنج في غاية الرزانة، ثم أولدها عشره كلهم قضاة سادات أشراف الخطباء، فأتى صاحب الجارية بشاهدين عدلين ليشهدا أن هذه الجارية التي هي أم هؤلاء مملوكه له، فأجاب محمد بن الحسن: «أحكم بأنّ أولئك الأولاد مماليك لذلك الرجل» (الزغبي، 2011، صفحة 187) وهنا علّق الشافعي: «أي هذين أعظم ضررا بأن تقلع البناء وترد الساحة لمالكها أم الحكم برق هؤلاء الأولاد؟»

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(الزغبي، 2011، صفحة 187)، وهنا سكت محمد بن الحسن.

6.التحليل اللساني التداولي لمناظرة الشافعي للشيباني

1.6. السلم الحجاجي:

عرّفه أبو بكر العزاوي بأنه: «علاقة ترتيبية للحجج، تحدد بموجبها مراتب الأقوال ودرجاتها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين» (العزاوي، 2006، الصفحات 130-131)، وله قوانينه الخاصة: قانون النفي، قانون القلب، قانون الخفض.

فلقد عرف الأصوليون والفقهاء المسلمون هذه التراتبية في أحكام الفقه إذ رتبوا الواجب، والحرام في طرفي السلم وتتوسطهما درجات المندوب والمكروه وبينهما المباح المطلق، وتمتاز الحجج التي تدرج في الخطاب لكي تدعم النتيجة التي يراد بها أن ينقاد إليها المتلقي كونها تحمل طابعا تدريجيا تتفاوت في درجة القوة والضعف، وهذا التفاوت الذي يحصل في الحقل الحجاجي نفسه الذي يطلق عليه "السلم الحجاجي" ولا بد للمناظرة الفقهية أن تستند على بناء الحجج بطريقه تراتبيه للوصول إلى النتيجة المتوخاة، وهذا لا يتحقق إلا بتوظيف الروابط الحجاجية "***les connecteurs***"، وحدّها: «كل لفظ يمكن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة» (روبول و موشلار، 2003، صفحة 265)، ويعد استعمال هذه الروابط في الخطاب من التقنيات اللسانية والحجاجية المهمة، كونها تؤدي دورا في اتساق النص وربط أجزائه دلاليا وزياده في قوته الحجاجية (زحاف، 2019، صفحة 147). وهي تكسب الخطاب صفه التماسك والتراص والترتيب وهي تختص بترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن القارئ، وتقسم إلى روابط حجاجيه منطقيه (و، ف، ثم، ....) وروابط حجاجيه غير منطقيه (بل، لكن، ...)

وقد وجدنا الروابط الحجاجية بكثرة في المدونة وستظهر جليا بعد عرض استدلال كل من الإمام محمد بن الحسن والإمام الشافعي.

أ - استدلال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: أخذ الإمام محمد بن الحسن بطرح مسألته الأولى على الإمام الشافعي، وقد عرض حججه الواحدة تلو الأخرى بشكل تسلسلي وأراد إيجاد حل لها، ويمكن التمثيل لذلك بالمخطط التالي:

ر= الرابط

ن=ح1+ح2+ح3+ح4+ح5 ح= الحجة

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المسألة الثانية:

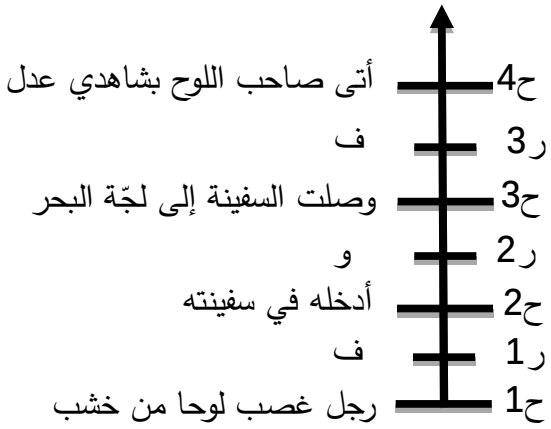

المسألة الثالثة:

التحليل: تكرار توظيف الروابط الحجاجية (الواو، الفاء)، وذلك أن الحجج لن تحقق مقاصد المتكلم إلا إذا تم استخدامها، وهذا لترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض لتقويه صله كل حجه منها بالأخرى، وقد استعمل الـ "واو" في هذه المقاطع كرابط وظيفي بين الحجج، فأفاد تتابع الحجج وتعاقبها زمنيا، أما "الفاء" فقد ربطت بين النتيجة والحجج من أجل التعليل والتفسير لأنها أداة ربط استنتاجيه في الخطاب الحجاجي التداولي.

ب- استدلال الشافعي: لقد أجاب الإمام الشافعي على المسائل التي طرحت عليه بإعطاء الحل عن طريق عده حجج تراتبيه يمكن عرضها بالمخطط التالي:

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

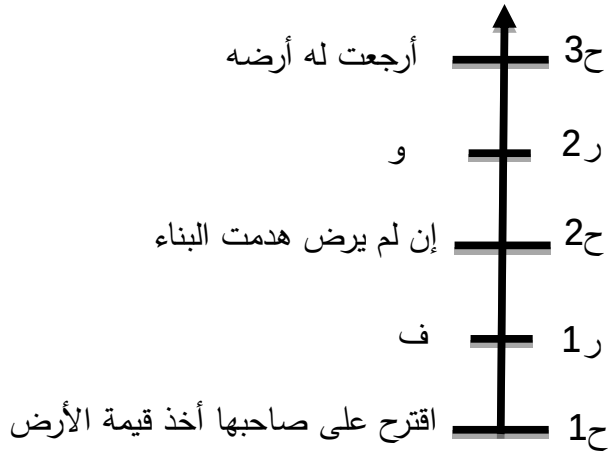

لقد قام الشافعي بحل هذه القضية بتقديم حجج إقناعية انتقل فيها من الأضعف إلى الأقوى موظفا الروابط الحجاجية التي تنوعت ما بين الواو والفاء، أمّا فيما يخص المسألة الثانية فقد أجاب الشافعي أنّه سيطلب من صاحب السفينة الرّسوّ في أقرب السواحل لأجل نزع اللوح وإعادته لصاحبه، وذلك أسلم وأكثر أمانا من أن ينتزع اللوح وهو في عرض البحر مما ينجر عنه خسائر في الأرواح وهذا ما يرفضه الشرع وسنمثل له بالمخطط التالي:

نلاحظ استغلال الرابط الحجاجي "ثم" وهو من الروابط التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج.

أما فيما يخص القضية الثانية فقد امتنع الشافعي عن الرد عليها، لأنه رأى أنه لا يجب أن يقاس ما هو محرم على ما هو مباح، وقد فسر ذلك بأن صاحب الساحة إذا أراد أن يهدم البناء فهذا حقه ولا مانع عليه، أما صاحب اللوح فإذا أراد استرجاعه من صاحب السفينة -وهو في عرض البحر - فهذا فيه إزهاق للأرواح، فلا يمكن أن تقيس مباحا على حرام، فإغراق السفينة في عرض البحر ليس كتهديم بناء، فالمسألتان لا تتساويان، ولا يمكن أن تقيس عليهما المسألة الثالثة التي تتعلق بقتل النفس، إذ لا يجوز أن ننزع خيطاً مغصوبا من جسم الإنسان لأجل إرجاعه لصاحبه، ولكي يوضح أكثر فكرته صاغ حله بنفس الطريقة التي اعتمدها محمد بن الحسن في طرح قضاياه ونمثل لها بالشكل التالي:

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إن تدرج الشافعي في تقديم حججه القوية جعلت الجمهور يقتنع برأيه وليس هذا فقط، فقد بهت محمد بن الحسن وسلّم كيف لا وقد جمع الشافعي بين الرأي والحديث، فمزج في مذهبه بين طريقة أهل الرأي الذين يكثرون من القياس، وبين طريقه أهل الحديث الذين يعتمدون على الأدلة، كما كان قوي العارضة، قوي الحجة، واضح البرهان في المجادلة (المراغي، 1947، صفحة 171) وذلك مرده إلى البعد عن العبثية والالتزام برصف البراهين وربط بعضها ببعض في نسق مرتب ومتدرج.

2.6. أفعال الكلام في المناظرة:

تعدّ الافعال الكلامية من الموضوعات الرئيسة في اللسانيات التداولية حيث تعرف بأنها: «كل فعل يحدث في الواقع ويعبّر عنه بلفظ في اللغة تسمى الأفعال الكلامية» (مسعي، 2017، صفحة 10) أو أنها «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا على ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قوليه... لتحقيق أغراض إنجازية» (صحراوي، 2005).

وقد حفلت مدونتنا بحشد عدد كبير من الأفعال الكلامية المتنوعة وأكثرها الإخباريات أو التأكيديات التي يكون غرضها التقرير والتأكيد، تأتي متضمنه في الجمل الخبرية المنفية والمؤكدة، وتختلف درجاتها الانجازية بحسب احتوائها على المؤكدات من عدمها. وتتراوح الأفعال الانجازية ما بين: (الإخبار، الوصف، التقرير، الثناء) وعادة ما تأتي بعد: (أكّد، أنكر، أجاب، اعترف، ...) وهي تدل على الصيغة الحوارية للمناظرة الفقهية، ومن ذلك نذكر قول الإمام محمد بن الحسن: «بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب» (الزغبي، 2011، صفحة 185) فهو هنا يؤكد للشافعي صحة الخبر فهو لا يريد تصحيحا ولا إثباتا، وإنّما يعلمه من خلال توظيف الفعل بلغ وأداة التوكيد أنك. بعدم موافقته لآرائه وأنه يخالفه في عدة مسائل أهمها الغصب، فهو على دراية بما يفعله الشافعي الذي كان ينتظر مغادرته للحلقة ليجلس مكانه ويدافع عن أستاذه مالكاً، ليرد الشافعي بقوله: «أصلحك الله إنّما هو شيء أتكلم به في المناظرة، وإني أجلّك عن المناظرة» (الزغبي، 2011، صفحة 185) (إنّي أتكلم، إنّي أجلّك) تأكيد على أنه- رغم الاختلاف في الآراء- إلا أن هذا لا يعني أبدا الاختلاف معه

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كشخص يحبه وإمام يحترمه، فما يذكره عنه يتعلق بالآراء وليس بالشخص.

وهنا نلمس قدرة أسلوب التوكيد على تمكين الشيء في النفس وتقويته، أما التوجيهات التي عادة ما تأتي متضمنة في: (الأوامر، والنواهي، الطلبات والتعليمات) وترد بعد (أطلب، أسال، ألتمس، أتضرع) ومن ذلك نجد تكرار الفعل (ما تقول) الذي كرره الإمام محمد بن الحسن وهو يسأل الشافعي، أمّا الأمر فقد ذكره الشافعي حين أكد أنه يطلب من مغتصب اللوح نزعه بقوله: "آمره أن يسيرها إلى أقرب السواحل"، ثم قوله له: "انزع اللوح وادفعه إلى صاحبه" (الزغبي، 2011، صفحة 186)، أما التعبيرات فنجدها لدى الشافعي وذكره لعبارات الأدب والاحترام الرفيع وهو يكلم صاحبه عندما قال: «أصلحك الله إنّما هو شيء أتكلم به في المناظرة» (الزغبي، 2011، صفحة 185) وقوله: «رحمك الله كيف نقيس مباحا على محرم» (الزغبي، 2011، صفحة 186) وكذا قوله: «أنشدك الله أي هذين أعظم ضرراً؟» (الزغبي، 2011، صفحة 187).

أمّا فيما يخص التصريحات فقد ورد فعل "احكم" حينما ذكر حكمه في ما يتعلق بأمر الجارية فقال: «أحكم بأن أولئك مماليك لذلك الرجل» (الزغبي، 2011، صفحة 187).

3.6. التكرار في الحوار:

يعدّ التكرار من الأدوات اللغوية المهمة، ويعرف بأنه: «إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة» (الفقي، 2000، صفحة 20 ج2)، والتكرار يكون إما في المعنى أو في اللفظ.

والتِّكرار أو التَّكرير من أبرز الأساليب الحجاجية اللغوية، إذ يعتمده المرسل لإثبات أو نفي قضية، وله وظائف خطابية عدّة، عبّر عليها بالإفهام والكشف وتوليد الكلام.

ومن أمثلة التكرار في المناظرة الفقهية محل الدراسة، تكرار الروابط الحجاجية والمفردات والأساليب وسنقوم بإحصاء ذلك من خلال الجدول التالي:

		عدد التكرار	
		الإمام الشافعي	محمد بن الحسن
الروابط الحجاجية	و	7	5
	ف	2	7
	ثم	2	1
المفردات والاساليب	لا	2	
	الله أكبر		2
	أرأيت	2	
	ما تقول	1	3
	اقول	2	
	تركت قولك		2
	شاهدين عدلين	1	3
	أنشدك الله	1	
	أصلحك الله	1	
	رحمك الله	1	

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويبين الجدول الإحصائي السابق التكرار الذي ورد في المناظرة ومنه التكرار الروابط الحجاجية والمفردات والأساليب لكلا المتناظرين، وقد كان استخدامه لأجل تحقيق أهداف حجاجية وإقناعية لعرض الآراء وإبراز شدة الحضور، وبالتالي فإن هذا التكرار لم يكن اعتباطيا، بل له دوافع حجاجية إقناعية، إذ غاية كل مناظر إقناع خصمه بالحجة والبرهان.

فتكرار «الله أكبر» من قبل محمد بن الحسن كان لأجل حثّ المتلقي على استحضار خشية الله وحمده وثنائه وشكره على نعمته وتكرار «أنشدك الله، أصلحك الله، رحمك الله» من قبل الإمام الشافعي تأكيد على مدى إجلاله لمحمد بن الحسن واحترامه بالرغم من اختلافات وجهات النظر.

7. الخاتمة:

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

1- الحوار هو الأسلوب الوحيد الذي يوصل إلى الحق كونه وسيلة إنسانية تساهم في تحقيق التواصل والتقارب بين وجهات النظر، ولهذا فقد دعا "طه عبد الرحمن" إلى وضع خطة تربوية مثالية تتعلق بالتأسيس للحوار في مجتمعنا، الذي يعد نموذجا للمجتمعات الأخرى ويذكرنا بأن لنا في تراثنا وتاريخنا الكثير مما يفيدنا، ويضيف أن علمائنا قد تركوا لنا تقليدا راسخا في المجالس والمناظرات لا نجد له شبيها إلا عند الأمم التي رقت إلى رتبة عالية في مجال التحضر، فضلاً عن غزير إنتاجهم العلمي الذي يدور حول مسألة الحوار تاريخا ووصفا وضبطا وتنسيقا.

2- ثقافة الحوار كما يقول عادل عبد اللطيف هي البديل الإنساني عن العنف والتطرف.

3- المناظرة في الفكر العربي الإسلامي لها حضور بارز قوي، وقد زاد من حدتها ظهور المذاهب الدينية والفرق الكلامية، حيث عمل كل فريق منها على تثبيت وجودها من خلال الاحتجاج لمذهبه بالأدلة النقلية والعقلية لفرض رأيه ومحاولة اقناع خصمه به.

4- المناظرة الفقهية نشاط فكري ذو فعالية لسانية تداولية قائمة على تداول الخطاب بين المدعي والمعترض.

5- قيام المناظرة على استعمال الحجة والقدرة على الإقناع من خلال الأسلوب الحواري، وما يتبع ذلك من استخدام للعقل بالتفكير والنظر والاستدلال.

6- سلك الفقهاء المناظرة كونها وسيلة فعالة للوصول إلى الحق.

7- لا يمكن إيصال وجهة النظر إلا بانتهاج أسلوب الحوار، ولا يكون ذلك إلا من خلال المناظرة، فالعلاقة وطيدة ووثيقة بينهما، فلا يمكن أن يكون أحدهما دون الآخر.

8- الإمام محمد بن الحسن الشيباني شخصية دينية علمية وفقهية، محاججة مقنعة عارفة باللغة العربية وعلومها وتاريخها والأصول الفقهية وعلم الكلام.

9- الإمام الشافعي فارس المناظرات قيل عنه الكثير، فقد ذكر أن المناظرة كانت سبب شهرته حيث عرف بالذكاء والحرص وفصاحة اللسان وقوة الحجة، كما كان يتحلى بالخلق في الحوار والمناظرة وكان كثير المناظرات، وجميع مناظراته تعلم الفقه والمنطق وأدب الحوار.

10- كانت المناظرات من الوسائل التي بلورت أفكار الشافعي وأثرت علمه فعلم الأصول - أصول الفقه- الذي كان الشافعي رائده الأول أرسى قواعده ووضع أركانه، وصاغ قضاياه الكلية وتفريعاته الجزئية.

11- استخدم المتناظران حججهم بتراتبية محكمة وأخضعوها للسلم الحجاجي.

12- وظفت الأفعال الكلامية بشكل كبير لملائمة طبيعة المناظرة، كما تكررت الروابط الحجاجية وبعض المفردات

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والأساليب وذلك لتقوية الخطاب، وتأدية دورها في الإقناع.

الهوامش

1. الأمام الشافعي (150-204هـ) (767-830م) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويُكنّى بأبي عبد الله، أفتى وهو دون العشرين، تتلمذ على يد الإمام مالك، له مؤلفات منها: كتاب الحجة ورسائل الأصول.

2. محمد بن الحسن الشيباني (131-183هـ) (748-804م) هو فقيه أصولي يُكنّى بأبي عبد الله، ولد بالعراق ونشأ بالكوفة حفظ القرآن واشتهر بالتبحّر في الفقه والأصول، وكان إماماً في اللغة العربية، تولّى القضاء، له كتب في الفقه والأصول منها: المبسوط في فروع الفقه والزيادات والآثار، والموطأ.

مصادر ومراجع البحث:

ابن منظور. (بلا تاريخ). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار صادر،.

أبو بكر العزاوي. (2006). *اللغة والحجاج*. الدار البيضاء: العمدة في الطبع، ط1.

أبو عمر محمد بن عبد الملك الزغبي. (2011). *أصول المناظرة وروائع المحاضرات*. مصر: دار التقوى، ط1.

آن روبول، و جاك موشلار. (2003). *التداولية اليوم علم جديد في التواصل*. (سيف الدين دعفوس، و محمد الشيباني، المترجمون) بيروت: دار الطليعة، ط1.

بسمة زحاف. (2019). *آليات الحجاج في كتاب عيون المناظرات لأبي علي السكوني، أطروحة دكتوراه، تخصص: لسانيات تطبيقية، إشراف الأستاذة، إبتسام بن خرّاف*. جامعة باتنة.

جلال الدين السيوطي . (1983). *الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية*. بيروت، لبنان: دار الكتاب العلمية، ط1.

حليمة مسعي. (2017). *الآليات الحجاجية في الخطاب الديني، خطبة عمر بن الخطاب - نموذجا*. تبسة: جامعة الشيخ العربي التبسي.

صبحي إبراهيم الفقي. (2000). ، *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

عبد الرحمن حبنكة الميداني. (1993). *ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة*. دمشق: دار القلم، ط4.

عبد الرحمن طه. (2000). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2.

عبد السلام عشير. (2006). *عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج*. افريقيا الشرق المغرب.

عبد اللطيف عادل. (2013). *بلاغة الإقناع في المناظرة*. الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1.

عبد الله مصطفى المراغي. (1947). *الفتح المبين في طبقات الأصوليين*. مطبعة أنصار السنة المحمدية.

محمد العمري. (2012). *البلاغة بين التخييل والتداول*. المغرب: دار أفريقيا للشرق.

محمد نظيف. (2010). *الحوار وخصائص التفاعل التواصلي – دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية*. المغرب: دار افريقيا الشرق.

مسعود صحراوي. (2005). *التداولية عند العلماء العرب «دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي»*. بيروت، لبنان: دار الطليعة، ط1.

منصف دقاشي. (2014). *علم التخاطب في مناظرات ابن تيمية، رسالة ماجستير، تخصص نقد أدبي معاصر، إشراف د. بوجمعة شتوان*. تيزي وزو: جامعة مولود معمري.

يحي زمزمي. (1994). *الحوار وآدابه، وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة*. مكة المكرمة: دار التربية، ط1.

يوسف أبو دينه. (2018). *الآليات الحجاجية في المناظرات العربية، المناظرات النحوية نموذجا، أطروحة دكتوراه، تخصص اللسانيات وتعليمية اللغة العربية*. المدية: جامعة الدكتور يحي فارس، .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)